جوانب من البحث اللغوي عند السيوطي

د.عبد القادر مرعي خليل *

المقدمـــــــة:-

على الرغم مما قيل ويقال بأن السيوطي لايعد مبدعا أو مجددا في علم اللغة، وليس له آراء لغوية جديدة أو مبتكرة، وإنما هو جامع وناقل لآراء علماء اللغة الذين سبقوه أمثال: سيبويه، وأبن السراج وأبن جني وأبن فارس، وأبن هشام، وأبن الحاجب، وغيرهم من علماء العربية القدماء، إلا أنني أرى من خلال قراءتي المتواضعة لمصنفاته اللغوية مثل كتاب: المزهر في عاوم اللغة وأنواعها، وهمع الهوامع والأشباه والنظائر، والإقتراح أن السيوطي صاحب منهج تكاملي، غذ كان ينقل آراء علماء اللغة وينسبها إلى أصحابها وإلى مصادرها في أكثر الأحيان، ثم يناقشها ويوازنها بغيرها، ويرفض بعضها، ويتبنى ما يرتضيه منها، ويدلي برأيه الخاص فيها أحيانا. ويمكن أن تمثل هذه الآراء التي أرتضاها وأبتكرها نواة لنظرية لغوية متطورة نادى بها علماء اللغة المعاصرون.

وقد أستوقفني من هذه الآراء الأفكار اللغوية التالية، التي سأقصر بحثي عليها وهي:-

١ ـ حد اللغة.

٢ ـ نشأة اللغة.

٣ ـ الكفاية اللغوية.

٤ ـ الأداء اللغوي.

وتشكل الفكرتان الأخيرتان محورا أساسا في نظرية تشومسكي اللغوية المعاصرة، التي عدت أكتشافا عظيما في مجال علم اللغة، لذلك سأقوم في هذا البحث بمناقشة هذه القضايا اللغوية الأربع عارضا لرأي السيوطي فيها، وموازنا إياه بآراء علماء اللغة المعاصرين في هذا المجال.

---

* دكتور في قسم اللغة العربية / جامعة مؤتة.

حـــد اللغـــة:-

لقد أرتضى السيوطي تحديد أبن جني للغة، فقال: " قال أبو الفتح أبن جني في الخصائص: حد اللغة أصوات ويعبر بها كل قوم عن أغراضهم. ثم قال: وأما تصريفها فهي فعلة من لغوت أي تكلمت وأصلها لغوة [1] ككرة، وقلة، وثبة، كلها لاماتها وأوات (لقولهم كروت بالكرة، وقلوت بالقلة، ولأن ثبة كأنها من مقلوب ثاب يثوب). وقالوا فيها لغات ولغون كثبات وثبون. وقيل منها لغى يلغي إذا هذى قال[2]:

ورب أسراب حجيج كظم عن اللغا ورفث التكلم

وكذلك اللغو، قال تعالى: " وإذا مروا كراما " [3]. أي بالباطل.

وفي الحديث: " من قال في الجمعة صه فقد لغا، أي تكلم ". انتهى كلام أبن جني" [4].

وينسجم هذا التحديد للغة على أنها أصوات تعبر عن حاجات المتكلم مع الدراسات اللغوية المعاصرة. يقول ستيفن أولمان: " اللغة نظام من رموز صوتية مخزونة في أذهان أفراد الجماعة " [5].

ويرى سابير Sapir، أن اللغة وسيلة إنسانية صرف غير غريزية ـ لنقل الأفكار والعواطف والرغبات بطريقة نظام من الرموز الصادرة أختيارا عن الإنسان [6].

ويبين السيوطي أن هذه الاصوات التي تشكل اللغة يتركب بعضها مع بعض لتكون الكلام. فقال: " وهذا الكلام إنما هو حرف وصوت، فإن تركة سدى وغفلا أمتد وطال، وإن قطعه تقطع، فقطعوه وجزؤه على حركات أعضاء الإنسان التي يخرج منها الصوت، وهومن أقصى الرئة إلى منتهى الفم، فوجدوه تسعة وعشرين حرفا لاتزيد على ذلك، ثم قسموها على الحلق والصدر والشفة واللثة، ثم رأوا أن الكفاية لاتقع بهذه الحروف التي هي تسعة وعشرون حرفا، ولايحصل المقصود بأفرادها فركبوا منها الكلام ثنائيا وثلاثيا ورباعيا وخماسيا، هذا هو الأصل في التركيب، وما زاد على ذلك يستثقل، فلم يضعوا كلمة أصلية زائدة على خمسة أحرف إلا بطريقة الإلحاق والزيادة لحاجة، وكان الأصل أن يكون بإزاء كل معنى عبارة تدل عليه غير أنه لايمكن ذلك، لأن هذه الكلمات متناهية، وموادها ومصادرها متناهية [7].

فاللغة لها جانبان عند السيوطي، جانب مادي، يتمثل في الأصوات اللغوية التي توجد في ذهن المتكلم، ويتشكل مها الكلام. وهذه الأصوات اللغوية المادية ـ للكلام المتصل. وأن المعنى لا يتحقق بهذه الأصوات وحدها. وهذا الفهم للغة ينسجم مع الدراسات اللغوية الحديثة، يقول أولمان: والأصوات ليست رموزا مستقلة استقلالا تاما، أي أنها ليست ذات معنى خاص بها: فالأصوات المفردة، الفتحة والباء واللام مثلا لاتعني شيئا بنفسها، وإنما وظيفة هذه الأصوات هي أنها تكون وحدات اكبر [٨].

والجانب الآخر للغة وهو وظيفي إجتماعي، وهو المعاني والأفكار والحاجات التي يعبر عنها المتكلم بأصوات اللغة،وهذا الجانب لايتحقق إلابتآلف الصوات في كلمات، وتآلف الكلمات في جمل وتراكيب. يقول أولمان: ولكن الأصوات والكلمات ليست هي الوحدات الوحيدة في الكلام، إننا لانتكلم كلمات مفردة ولكنا نكون منها تراكيب: عبارات أو جملا، ووحدات أكبر من ذلك، ووظائف هذه الوحدات هو بيان الإرتباطات والعلاقات بين الأشياء، أما الأشياء نفسها فيرمز إليها بالكلمات المفردة، وقد تقوم الكلمة المفردة في الحالات القصوى مقام النطق الكامل كما في الصيحة "حريق " أو في هذه الحالة تقوم الحركات الجسمية والتنفسية والموقف اللغوي جميعه إمدادنا بالأدلة اللازمة للفهم.

فالصوت والكلمة والتركيب النحوي هي الوحدات الثلاث للكلام المتصل، وهذه الوحدات تدخل في النظام اللغوي الخاص بكل عضو من أعضاء الجماعة اللغوية بعد أن تستخلص من أحداث كلامية لاحصر لها سواء أكانت هذه الوحدات مسموعة أم منطوقة [٩].

فاللغة ظاهرة إجتماعية بالإضافة إلى كونها نظاما من الرموز الصوتية، وهذه الرموز لامعنى لها بحد ذاتها كما بين السيوطي، وهذا الفهم للغة هو الذي تبنيه المدرسة اللغوية البنائية الإجتماعية، إذا يرى دي سوسور أن اللغة يجب أن تدرس ظاهرة أجتماعية وأن الرموز الصوتية أو الكتابية لامعنى لها في حد ذاتها وأن العلاقات بين الرموز والمعاني علاقة اصطلاحية اتفاقية ثابتة بالنسبة للغة الواحدة والمجتمع الواحد [١٠].

فاللغة لا وجود لها خارج الإطار الإجتماعي، والطبيعة الاجتماعية للغة هي إحدى المميزات الداخلية لها كما أن تعريفها الكامل يتطلب عنصرين لايمكن الفصل بينهما وهما: اللغة ومجتمع المتكلمين (١١).

فاللغة إذن عند السيوطي - نظام من الرموز اللغوية يوجد في ذهن المتكلم، وهذه الرموز تنتظم وتتآلف في كلمات وجمل لتعبر عن حاجات المتكلم. وهذا هو التحديد التي جاءت به الدراسات اللغوية المعاصرة.

وضـــع اللغـــة:-

تعد هذه القضية من القضايا اللغوية الجدلية التي تناولها علماء العربية القدماء، وهي هل اللغة توقيف ووحي أم غصطلاح وتواطؤ؟

وقد عرض السيوطي لآراء اللغويين الذين سبقوه في هذه القضية، وناقشها وحللها، ثم قدم رأيه الخاص فيها. وبدأ عرضه برأي أهل السنه المتمثل برأي، أبن عباس وأبن فارس وغيرهم، الذين يرون أن اللغة توقيف ووحي من الله. قال: " قال أبو الحسين أحمد بن فارس في فقه اللغة: اعلم أن لغة العرب توقيف؛ ودليل ذلك قوله " وعلم آدم الأسماء كلها ". فكان أبن عباس يقول: علمه الأسماء كلها، وهي هذه الأسماء التي يتعارفها الناس؛ من دابة وأرض، وسهل وجبل، وجمل وحمار وأشباه ذلك من الأمم وغيرها (١٢).

وبعد أن ختم السيوطي كلام أبن فارس، قال هذا كله كلام أبن فارس وكان من أهل السنة (١٣).

ويريد بذلك أن أبن فارس كان سنيا ومن شأن أهل السنة. أن يقفوا عند النصوص فلا يحملوها مالا تحتمل، وقد أستمسك أبن فارس بالنصوص التي أوردها وكأنه استمسك بحبل متين، ولم يكتف بهذا بل دافع دفاعا حارا عن أن اللغة توقيف وليست اصطلاحا (١٤).

ثم عرض السيوطي للرأي المقابل في هذه القضية، الذي يرى أن اللغة تواطؤ واصطلاح، ويمثل هذا الرأي أبن جني وشيخه أبو علي الفارسي، وهما من المعتزلة. فقال: " وقال أبن جني في الخصائص - وكان هو وشيخه أبو علي الفارسي معتزلين: باب القول

على أصل اللغة، إلهام هي أم اصطلاح؟

هذا موضع محوج إلى فضل تأمل، غير أن أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة إنما هو تواضع واصطلاح، لا وحي، ولاتوقيف، إلا أن أبا علي رحمه الله قال لي يوما: هي من عند الله، واحتج بقوله تعالى: " وعلم آدم الأسماء كلها " وهذا لا يتناول موضع الخلاف؛ وذلك أنه قد يجوز أن يكون تأويله: أقدر آدم على أن واضع عليها. وهذا المعنى من عند الله سبحانه لا محالة؛ فإذا كان ذلك محتملا غير مستنكر سقط الاستدلال به.

وقد كان أبو علي رحمه الله أيضا قال في بعض كلامه وهذا أيضا رأي أبي الحسن، على أنه لم يمنع قول من قال إنها تواضع منه؛ وعلى أنه قد فسر هذا بأن قيل: إنه تعالى علم آدم أسماء جميع المخلوقات بجميع اللغات: العربية والفارسية، والسريانية، والرومانية، والعبرانية، والرومية وغير ذلك من سائر اللغات؛ فكان آدم وولده يتكلمون بها، ثم إن ولده تفرقوا في الدنيا وعلق كل واحد منهم بلغة من تلك اللغات فغلبت عليه، واضمحل عنه ما سواها، لبعد عهدهم بها، وإذا كان الخبر الصحيح قد ورد بهذا وجب تلقيه باعتقاده والإنطواء على القول به " (١٥).

ثم استرسل السيوطي في نقل كلام أبن جني الذي يدلل فيه على أن اللغة تواطؤ واصطلاح لا وحي وتوقيف، فقال: " ثم لنعد فلنقل في الإعتلال لمن قال بأن اللغة لا تكون وحيا وذلك أنهم ذهبوا إلى أن أصل اللغة لابد فيه من المواضعة، قالوا: وذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعدا فيحتاجوا إلى الإبانة عن الأشياء والمعلومات فيضعوا لكل واحدة منها سمة ولفظا إذا ذكر عرف به مسماه ليمتاز من غيره وليغني بذكره عن إحضاره إلى مرآة العين، فيكون ذلك أقرب وأخف وأسهل من تكلف إحضاره لبلوغ الغرض في إبانة حاله. بل قد يحتاج في كثير من الأحوال إلى ذكر ما لا يمكن إحضاره ولاإدناؤه كالفاني وحال اجتماع الفريق على المحل الواحد، كيف يكون ذلك لو جاز، وغير هذا مما هو جار في الاستحالة والبعد مجراه فكأنهم جاءوا إلى واحد من بني آدم فأو مأوا إليه، وقالوا: إنسان إنسان إنسان فأي وقت سمع هذا اللفظ علم أن المراد به هذا الضرب من المخلوق، وإن أرادوا سمة عينه أو يده أشاروا إلى ذلك، فقالوا: يد، عين، رأس، قدم، أو نحو ذلك، فمتى

سمعت اللفظة من هذا عرف معينها وهلم جرا فيما سوى هذا من الاسماء والافعال والحروف. ثم لك من بعد ذلك أن تنقل هذه المواضعة إلى غيرها، فتقول: الذي أسمه إنسان فليجعل مكانه فرد، والذي أسمه رأس فليجعل مكانه سر؛ وعلى هذا بقية الكلام.

وكذلك لو بدئت اللغة الفارسية، فوقعت المواضعة عليها؛ لجاز إن تنقل ويولد منها لغات كثيرة، من الرومية والزنجية وغيرهما. وعلى هذا ما نشاهده الآن من اختراعات الصناع لآلات صنائعهم من الأسماء كالنجار والصائغ والحائك، والبناء وكذلك الملاح. قالوا ولكن لابد لأولها من أن يكون متواضعا بالمشاهدة والإيماء [١٦].

ويستمر السيوطي في نقل آراء ابن جني التي يدلل فيها على أن اللغة تواضع واصطلاح إلى أن وصل إلى قوله: " وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات كدوي الريح، وحنين الرعد، خرير الماء، وشحيح الحمار، ونعيق الغراب، وصهيل الفرس، ونزيب الظبي ونحو ذلك. ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد، وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل [١٧].

ويبدو هنا أن السيوطي من خلال تتبعه لرأي ابن جني وغيره من علماء اللغة القدماء الذين قالوا بأن اللغة تواضع واصطلاح، وأن اللغة نشأت عن محاكات أصوات الطبيعة - يبدوا أنه يرجح هذا الرأي وينفي أن تكون اللغة وحيا وتوقيفا، وهذا ينسجم مع الدراسات اللغوية المعاصرة التي تؤكد أن أصل اللغات بدأ بمحاكات أصوات الطبيعة، ثم أخذ :كل قوم يتواضعون ويصطلحون على وضع ألفاظ لتعبر عن حاجاتهم الجديدة المستمرة. إذ يرى جورج يول (George Yule) أن أصل اللغات يعود إلى محاكات الأصوات إذ كان كا قوم يحاكون أصوات الطبيعة التي تحيط بهم، وكل لغة من اللغات تتضمن بعضا من هذه الأصوات، وعندما كان كل قوم يحتاجون إلى ألفاظ جديدة للتعبير عن حاجاتهم يصطلحون ويتواضعون على وضع ألفاظ للتعبير عن هذه الحاجات [١٨].

كما بين السيوطي السبب في وضع اللغة يعود إلى حاجة الإنسان إلى التفاهم والتعارف والتعاون مع الآخرين، إذ لا يستطيع الإنسان أن يعيش وحده ويستقل بجميع حاجاته، بل لا بد من التعاون والتعارف، ولا يتم التعارف والتعاون إلا بأسباب كحركات أو

إشارات أو نقوش، أو ألفاظ توضع بإزاء المقاصد، وأيسرها وأعمها الألفاظ؛ لأن الأصوات كيفيات تعرض لأصوات عارضة للهواء الخارج بالتنفس الضروري المحدود من قبل الطبيعة دون تكلف اختياري. ولما كانت الألفاظ أيسر وأفيد وأعم صارت موضوعة بإزاء المعاني (١٩).

وهذا الرأي الذي جاء به السيوطي في نشأة اللغة تؤيده الدراسات اللغويةالحديثة، قال فندريس: " في أحضان المجتمع تكونت اللغة، ووجدت اللغة يوم أحس الناس بالحاجة إلى التفاهم فيما بينهم .... فاللغة هي الواقع الإجتماعي بمعناه الأوفى تنتج من الإحتكاك الأجتماعي، وصارت ةاحدة من أقوى العرى التي تربط الجماعات، وقد دانت بنشوئها إلى وجود احتشاد اجتماعي (٢٠).

فاللغة غذن ظاهرة مكتسبة وليست غريزية، يكتسبها الإنسان من المجتمع الذي يعيش فيه ليتفاهم ويتعاون مع الآخرين وليعبر به عن حاجاته وأفكاره، وهي ذات طابع اصطلاحي تتيح لمتكلميها التواصل والتفاهم في ما بينهم.

الكفـــاية اللغويـــــة:-

يتمثل مفهوم الكفاية اللغوية عند السيوطي في قدرة المتكلم على تأليف ألفاظ وجمل وتراكيب من الأصوات اللغوية وفق القواعد الصوتية والصرفية والنحوية، ليعبر بها عن المعاني التي يريدها، والتي تكمن في ذهنه. فقال: " ثم رأوا أن الكفاية لاتقع بهذه الحروف التي هي تسعة وعشرون حرفا، ولايحصل المقصود بإفرادها، فركبوا منها الكلام ثنائيا وثلاثيا ورباعيا وخماسيا هذا هو الأصل في التركيب، وما زاد على ذلك يستقل، فلم يضعوا كلمة أصلية زائدة على خمسة أحرف إل بطريق الالحاق والزيادة لحاجة، وكان الأصل أن يكون بإزاء كل معنى عبارة تدل عليه، غير أنه لايمكن ذلك؛ لأن هذه الكلمات متناهية، وكيف لاتكون متناهيه وموارها ومصادرها متناهية، فدعت الحاجة إلى وضع الأسماء المشتركة، فجعلوا عبارة واحدة امسميات عدة كالعين والجون واللون، ثم وضعوا بإزاء هذا على نقيضة كلمات لمعنى واحد، لأن الحاجة تدعو إلى تأكيد المعنى والتحريض والتقرير؛

فلو كرر اللفظ الواحد لسمج ومسج، ويقال: الشيء إذا تكرر تكرج [٢١].

إذ نجد من خلال هذا التحديد أن السيوطي قرن بين المادة الصوتية للغة التي تتمثل في الأصوات والأبنية والجمل وبين الجانب الدلالي لها أي المعنى الذي ترتبط به. فمتكلم اللغة الذي ترعرع في بيئة معينة قد أكتسب كفاية لغوية في لغة البيئة التي عاش فيها، وهذه الكفاية تتمثل في معرفة أصوات اللغة وقواعدها التي تتيح له إنتاج كلمات وجمل مفهومه للتعبير عن المعاني التي يريدها. وبين السيوطي أن هذه الأبنية والجمل محدودة ومتناهية؛ لأن أصواتها ومصادرها محدودة ومتناهية.

وقد سمى أبن خادون في مقدمته مصطلح الكفاية اللغوية الملكة اللسانية وعرفها بقوله: " أعلم أن اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة، إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها،وليس ذلك بالنظر إلى المفردات، وإنما هو بالنظر إلى التراكيب، فإذا حصلت الملكة التامة في تراكيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصوده للسامع " [٢٢].

فالملكة اللغوية هي المقدرة على استعمال اللغة الصحيح للتعبير عن المعاني المقصودة لدى المتكلم، ولاتحصل هذه القدرة بمعرفة الألفاظ المفردة بل لابد للمتكلم من الإحاطة بقواعد اللغة وقوانينها ليركب من الألفاظ المفردة تراكيب وجمل ليعبر بها عن المعاني.

وتشكل ظاهرة الكفاية اللغوية محورا رئيسا في نظرية تشومسكي اللغوية (النظرية التوليدية والتحويلية). ويشير مصطلح الكفاية اللغوية (Competence) عنده إلى قدرة المتكلم على إنتاج الجمل وتفهمها، وإلى قدرة المتكلم المثالي على أن يجمع بين الأصوات اللغوية وبين المعاني في تناسق وثيق مع قواعد لغته، كما تشير إلى إمتلاك المتكلم والسامع القدرة على إنتاج عدد هائل من الجمل من عدد محدود من الفونيمات الصوتية والقدرة على الحكم بصحة الجمل التي يسمعها من وجهة نظر نحوية [٢٣].

فالكفاية اللغوية هي المعرفة الضمنية بقواعد اللغة التي تتيح للإنسان إنتاج جمل

وتفهمها في لغته، وهي ملكة لاشعورية تجسد العملية الآنية التي يؤديها متكلم اللغة بهدف صياغة الجملة أو التراكيب، وذلك طبقا لتنظيم القواعد الضمنية الذي يقرن بين المعاني وبين الأصوات اللغوية، كما أنها هي التي تتيح لمتكلم اللغة الذي لا يمتلك معرفة واعية بقواعد اللغة التي تخضع لها عملية الكلام أن يلم بصورة كافية بنواحي استعمال لغته بحيث لايقع في الأخطاء، وأن يعلم أيضا إذا كان الكلام الذي ينطق به متكلم آخر في لغته كلاما صحيحا أم غير صحيح (٢٤).

ولابد من الإشارة هنا إلى أن الكفاية اللغوية لا تتحقق لدى الإنسان إلا إذا إمتلك ناصية لغته وعرف أصواتها وأبنيتها وقواعدها ودلالتها وقرن بينها بشكل منظم، بحيث يصبح لديه قدرة كافية قادرة على استخدام هذه القواعد بشكل صحيح ليعبر عما يريد تعبيرا صحيحا بجمل صحيحة، ويحكم بها على صحة ما يسمع من جمل وتراكيب وبالتالي تصبح هذه الكفاية هي المحرك الآلي لعملية الكلام والأداء الكلامي.

وخالص القول أن مصطلح الكفاية اللغوية لا يعد بدعا وإبتكارا من صنع علماء اللغة المحدثين، وإنما سبق السيوطي هؤلاء العلماء في معرفة هذا المصطلح، وحدده تحديدا دقيقا لا تختلف عما جاء به تشومسكي وغيره من علماء اللغة المعاصرين.

الأداء اللغـــوي:-

يتمثل مصطلح الأداء اللغوي عند السيوطي في استعمال اللغة استعمالا صحيحا وفصيحا وفق قواعد اللغة وقوانينها للتعبير عن المعاني الموجودة في ذهن المتكلم وعالج السيوطي هذه الظاهرة معالجة ضمنية تحت باب الفصاحة وبين أن الجانب الأول من فصاحة الأداء يتعلق باللفظ، والثاني يتعلق بالمتكلم، والأول أخص من الثاني لأن العربي الفصيح قد يتكلم بلفظة لاتعد فصيحة (٢٥). ثم أستعرض السيوطي آراء علماء العربية الذين سبقوه في معرفة الفصيح من الألفاظ المفردة، فقال: قال الراغب في مفرداته " الفصح: خلوص الشيء مما يشوبه، وأصله في اللبن، يقال: فصح اللبن وأفصح فهو فصيح ومفصح إذا تعرى من الرغوة، قال الشاعر:- وتحت الرغوة اللبن الفصيح (٢٦).

ومنه أستعير فصح الرجل: جادت لغته، وأفصح تكلم بالعربية وقيل بالعكس، والأول أصح (٢٧).

ثم ذكر رأي ثعلب في مدار الفصاحة، فقال: والمفهوم من كلام ثعلب أن مدار الفصاحة في الكلمة على كثرة استعمال العرب لها؛ فإنه قال في أول فصيحه: هذا كتاب اختيار الفصيح مما يجري في كلام الناس وكتبهم، فمنه ما فيه لغة واحدة، والناس على خلافها، فأخبرنا بصواب ذلك ومنه ما فيه لغتان وثلاث وأكثر من ذلك، فأختلانا افصحهن، ومنه ما فيه لغتان كثرتا استعملتا فلم تكن إحداهما أكثر من الأخرى فأخبرنا بهما انتهى.

ولا شك في أن ذلك هو مدار الفصاحة (٢٨). إذ أن السيوطي يرى رأي ثعلب في أن الفصاحة تتمثل في كثرة الاستعمال واستخدام نظام الفصيح من اللغات. ثم عرض بعد ذلك لرأي المتأخرين من علماء اللغة في تحديد معايير الفصاحة فيقول: " ورأى المتأخرون من أرباب علوم البلاغة أن كل واحد لايمكنه الاطلاع على ذلك؛ لتقادم العهد بزمان العرب، فحرروا لذلك ضابطا يعرف به ماأكثرت العرب من استعماله من غير؛ فقالوا: الفصاحة في المفرد: خلوصه من تنافر الحروف ومن الغرابة ومن مخالفة القياس اللغوي (٢٩).

واسترسل السيوطي في تحديد معنى تنافر الحروف، والغرابة والقياس اللغوي، حيث يقول: " فالتنافر منه ما تكون الكلمة متناهية في الثقل على اللسان وعسر النطق بها، كما روي أن أعرابيا سئل عن ناقته؛ فقال: تركتها ترعى الهخع، ومنه ما هو دون ذلك كلفظ مستشزر في قول امرئ القيس:

غدائـــــره مســـتشـــزرات إلى العـــلا

وذلك لتوسط الشين وهي مهموسة رخوة بين التاء وهي مهموسة شديدة، والزاي وهي مجهورة. والغرابة أن تكون الكلمة وحشية لا يظهر معناها، فيحتاج في معرفتها إلى أن ينقر عنها في كتب اللغة المبسوطة، كما روي عن عيسى بن عمر النحوي أنه سقط عن حمار فاجتمع عليه الناس، فقال: ما لكم تكأكأتم علي تكأكؤكم على ذي جنة، افرنقعوا عني.

أي اجتمعتم، تنحوا أو يخرج لها وجه بعيد كما في قول العجاج.

وفاحما ومرسنا مسرجا

فإنه لم يعرف ما أراد بقوله مسرجا، حتى اختلف في تخريجه فقيل هو من قولهم للسيوف سريجية، منسوبة الى قين يقال له سريج، يريد أنه في الأستواء والدقه كالسيف السريجي، وقيل من السراج، يريد أنه في البريق كالسراج.

ومخالفة القياس كما في قول الشاعر: الحمد لله العلي الأجلل فإن القياس الأجل بالإدغام (٣٠).

ثم عرض السيوطي لرأي كل من بهاء الدين السبكي في كتابة عروس الأفراح، والخفاجي في سر الفصاحة، والجار بردي في شرح الشافية، وحازم القرطاجنيفي منهاج البلغاء وسراج الأدباء - في الفصاحة (٣١). وجلها يجمع على أن معايير فصاحة الأداء تكمن في خلو الألفاظ من الغرابة والحوشي وتنافر الاصوات، ومخالفة القياس اللغوي.

وهذا يشير إلى أن الأداء اللغوي الصحيح يكمن في إستخدام قواعد اللغة وقوانينها استخداما صحيحا ولذلك يقول الخطيب القزويني : " الفصاحة في الكلام تكون في خلوصه من ضعف التأليف ومن تنافر الكلمات، ومن التعقيد على أن يكون الكلام مع خلوه فصيحا، فضعف التأليف يكون بمخالفة القانون النحوي. وتنافر الكلمات، نحو قول أحدهم، وينسب البيت إلى جني أيضا:

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

وقول آخر:

كريم حتى أمدحه أمدحه والورى معي وإذا مالمته وحدي

وهو أخف تنافر مما قبله.

والتعقيد: أن لا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المراد لخلل يقع في النظم أو في الإنتقال (٣٢).

وبالنظر إلى ما سبق نرى أن الأداء اللغوي يكون في استعمال اللغة استعمالا فصيحا وفق قواعد اللغة وقوانينها، وهو مقصور على الكلام. أما الكفاية اللغوية فهي ملكة

في المتكلم، يقتدر بواسطتها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح.

ويشكل مصطلح الأداء اللغوي (Performance) عنصرا رئيسا في نظرية تشومسكي اللغوية، وقد عرفه بأنه هو الاستعمال الآني للغة ضمن سياق معين، وفي الأداء اللغوي يعود متكلم اللغة بصورة طبيعية إلى القواعد الكامنة ضمن كفايته اللغوية كلما استعمل اللغة في مختلف ظروف المتكلم فالكفاية اللغوية، بالتالي هي التي تقود عملية الأداء الكلامي (٣٣).

فالأداء اللغوي هو الإنعكاس المباشر الكفاية اللغوية وذلك بأستعمال قواعد اللغة وقوانينها للتعبير عن المقصود والمعنى المراد. ومن هنا نرى أن مصطلح الكفاية اللغوية والأداء اللغوي ليس بدعا في الدراسات اللغوية الحديثة وإنما نجد هناك إشارات صريحة وضمنية إلى هذين المصطلحين عند السيوطي، وعند غيره من علماء العربية القدماء، وقد حددوا هذين المصطلحين بطريقة لاتختلف كثيرا عن تحديد علماء اللغة المحدثين لهذين المصطلحين.

وبعد فإنني لاأدعي أنني قد وفيت البحث حقه وأنني قد جئت بما لم يستطع أن يأتي به الآخرون في هذا المجال، ولكنني اجتهدت في هذا الباب فإن أصبت فبفضل الله وإن أخطأت فحسبي أني بذلت جهدي، وحسبي الله، إنه نعم المولى ونعم النصير.

المراجـــــع العربيـــة

١ ـ أبن جني، أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ) الخصائص تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت الطبعة الثانية، بدون تاريخ.

٢ ـ أبن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون المغربي (ت٨٠٨هـ) مقدمة أبن خلدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.

٣ ـ أبن فارس، أحمد بن الحسين (ت٣٩٥) الصاحبي في فقه اللغة.

٤ ـ أبن منظور، جمال الدين محمد مكرم (ت٧١١) لسان العرب، دار صادر بيروت، بدون تاريخ.

٥ ـ ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة كمال محمد بشر مكتبة الشباب القاهرة.

٦ ـ السيوطي، جلال الدين (ت٩١١) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أحمد جاد المولى بك وآخرين، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٦.

٧ ـ عبد العال سالم مكرم، جلال الدين السيوطي وأثره في الدراسات اللغوية، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٩م.

٨ ـ فرديناند دي سوسور، علم اللغة العام، ترجمة يوئيل يوسف عزيز، بيت الموصل، ١٩٨٨م.

٩ ـ فندريس، اللغة، ترجمة القصاص والدواخلي، مكتبة الأنجلو مصرية القاهرة ١٩٥٠.

١٠ ـ القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن شرح التلخيص في علوم البلاغة، شرح محمد هاشم دويدري، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٢م.

١١ ـ ميشال زكريا، الألسنة التوليدية والتحويلية، وقواعد اللغة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٢م.

١٢ ـ نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، عالم المعرفة، الكويت، الطبعة الثانية ١٩٧٩م.

المراجـــع الأجنبيـــة

1. Sapir, E. Langnage, New York, 1921.

2. Geory Yule, The Study of Language. Cambridge university Press, Cambridge, 1985.

3. N'oam Chomsky, Aspects of theory of Syntax, Cambridge, Amss MLT Press, 1965.

الملخـــص

جوانب من البحث اللغوي عند السيوطي

يهدف هذا البحث الى دراسة جوانب من البحث اللغوي عند السيوطي،وقد تناول الجوانب اللغوية الآتية :-

١ ـ حداللغة.

٢ ـ نشأة اللغة.

٣ ـ الكفاية اللغوية. Conepetence

٤ ـ الأداء اللغوي. Performance

إذ تحدث الباحث عن رأي السيوطي وتعريفه لهذه الجوانب اللغوية كما وازن رأي السيوطي بآراء علماء اللغة المعاصرين في هذه القضايا، وبين أن السيوطي قد سبق علماء اللغة المعاصرين في تحديد هذه القضايا تحديدا دقيقا . وأنه جاء بآراء وافكار متطورة في دراسة هذه الجوانب سبق بها علم اللغة الحديث.

ABSTRACT

Aspects of Linguistic Research of AL - Siyouti

This Paper aims at studying some aspects of linguistic study of AL - Siyouti The Paper Consists of four section:-

1 - The language difinition.

2 - The language origin.

3 - The Competence.

4 - The Performance.

The scholar has spoken about AL - Siyouti,s point of view these of four subjucts. Also the Scholar deals with the Comperative study between AL - Siyouti and Contemporary linguists. The Scholar explained That AL - Siyouti preaented some developed opinions and linguistic Thoughts before any Scholar had even attempt to study these subjects.

الهوامـــــش:-

(١) في الخصائص: أصلها: لغوه أنظر: أبن جني (أبو الفتح عثمان بن جني ت٣٩٢هـ)، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ج١/٣٣.

(٢) البيت لرؤبو ونسبه أبن بري للعجاج أنظر: أبن منظور (ت١٥٧١١) لسان العرب (لغو) ١٥/٢٥٠، دار صادر، بيروت.

(٣) سورة الفرقان، آيه ٧٢.

(٤) السيوطي عبد الرحمن جلال الدين السيوطي(ت٩١١هـ) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أحمد جاد المولي بك وآخرين منشورات المكتبة العصرية، صيدا،بيروت،١٩٨٦، ح١/٧.

(٥) ستيفن أولمان، دور الكلمه في اللغة،ترجمة كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، القاهرة،٣١.

(٦) Sapir,E. Language, New Yoek 1921,P.7.

(٧) السيوطي، المزهر، ١/٣٦ ـ٣٧.

(٨) ستيفن أولمان، دور الكلمه في اللغة، ٣١.

(٩) ستيفن أولمان، دور الكلمه في اللغة، ٣٣ ـ٣٤.

(١٠) نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصره، الطبعة الثانية ١٩٧٩، الكويت عالم المعرفة، ١٠٦ ـ١٠٧.

(١١) فردينان دي سوسور، علم اللغة العام، ترجمة يؤئيل يوسف عزيز، بيت الموصل، ١٩٨٨، ص ٩٥ ـ٩٦.

(١٢) السيوطي، المزهر ١/٨ وأنظر: أبن فارس احمد بن الحسين (ت٣٩٥هـ) الصباحي في فقه اللغة، تحقيق أحمد صقر، مطبعة عيسى بابي الحلبي وشركاه، القاهرة،٦.

(١٣) السيوطي، المزهر ١/١٠.

(١٤) عبد العال سالم مكرم، جلال الدين السيوطي وأثره في الدراسات اللغوية، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٩م. ص٣٤١.

(١٥) السيوطي، المزهر ١/١٠ـ١١ وأنظر: أبن جني (ت٣٩٢هـ)، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ج١/٤٠ ـ٤١.

(١٦) أبن جني، الخصائص ١/٤٤ ـ ٤٥.

(١٧) السيوطي، المزهر ١/١٢ـ١٥. وأنظر: أبن جني، الخصائص ١/٤٦ ـ٤٧.

(١٨) George Yule The Study of Language Cambridge university Press, Cambrdge 1985, P - 1- 3.

(١٩) السيوطي، المزهر، ١/٣٨.

(٢٠) فندريس، اللغة، ترجمة القصاص والدواخلي، مكتبة الأنجلو مصرية القاهرة، ١٩٥٠، ص ٣٥.

(٢١) السيوطي، المزهر، ١/٣٦ ـ ٣٧.

(٢٢) أبن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون المغربي (ت٨٠٨هـ) مقدمة أبن خلدون، دار أحياء التراث العربي، بيروت، ١/٥٥٤.

(٢٣) Noam Chomsky, Aspects of Syntax, Cambridge, Mass, MIT Press, 1965, P - 1 -2.

(٢٤) ميشال زكريا، الألسنيه التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربيـة، المؤسسـة الجامعيـة للدراسـات والنشـر والتوزيع بيروت الطبعة الأولى، ١٩٨٢، ٣٤.

(٢٥) السيوطي، المزهر، ١/١٨٤.

(٢٦) ونسبه في اللسان إلى فضلة السلمي، أبن منظور، لسان العرب ٢/٥٤٤.

(٢٧) السيوطي، المزهر، ١/١٨٤.

(٢٨) السيوطي، المزهر، ١/١٨٥.

(٢٩) السيوطي، المزهر، ١/١٨٥.

(٣٠) السيوطي، المزهر، ١/١٨٥ ـ١٨٦، وأنظر: القزومي، شرح التخليـص فـي علـوم البلاغـة، شـرح محمـد هاشم دويدري، دار الجبل، بيروت ١٩٨٢، ص ٩ ـ١١.

(٣١) أنظر: السيوطي، المزهر، ١/١٨٧ ـ ١٩٧.

(٣٢) القزويني، شرح التخليص، ١١ ـ ١٢.

(٣٣) ميشال زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، ٣٣.